د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

علّمني القرآن

سورة الكهف

الأفكار، والمفاهيم، والتصوُّرات، والحقائق الكبرى كما رسمها القرآن للحياة

دار القلم
دمشق

سورة الكهف

• في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة حتى ظننَّا أنَّه في طائفة النخل، ثم ذكر صفاته، وقال: «**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»، وفي صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: (**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال**)، وقال ﷺ: (**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**) صحَّحه الألباني.

• **علَّمتني سورة الكهف**: أنَّ كل ما تراه على الأرض من زينة ومباهج الحياة إنَّما هي للابتلاء والاختبار والامتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ وهي زينة فاتنة لأقصى مدى، والاستعلاء على تلك الزينة هو دأب المؤمن العارف بسنة الابتلاء، وهذه حقيقتها التي يقررها كتاب الله تعالى، ومن فقه هذا المعنى أخذ منها ما يبلِّغه الآخرة، وحرص غاية الحرص ألا يعارض منها شيء تلك المقاصد الكبرى، وأن تكون وسيلة وطريق لتلك الآمال فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القصص من أقرب الأساليب التربوية لبناء المفاهيم والأفكار والتصوُّرات ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ وثمة دروس ومعالم تسهم في بناء الإنسان في سورة الكهف لا تأتي إلا من خلال هذه الأساليب، ومن فقه المربي أن يعتني بذلك في مشروعه، وأن يستلَّ من هذه المعاني ما يأتي على أمانيه في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أقبل على الله تعالى صادقاً صنع الله تعالى له كل شيء ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤﴾ آمنوا بربهم تعالى، واستقاموا على منهجه، ورفضوا الباطل، واعتزلوا المنكر، وقرروا الاستعلاء بمنهج الله تعالى، وتركوا ديارهم وخرجوا فارِّين بدينهم ومنهجهم، فزادهم الله تعالى هدى، وربط على قلوبهم، وتولَّى شأنهم كله ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾ ومن فقهك أن تدرك أن حسن الإقبال على الله تعالى يصنع لك فوق أمانيك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل شـــيء مرهون بقدرة الله تعالـــى وإرادته، وهو الحاكم في الكون يُصرِّفه كيف يشـــاء ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ وإذا كان الأمر كذلك، فلا ينبغي لإنسان أن يجزم بشيء من أمره إلا معلَّقاً بالمشـــيئة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ﴾ وهو نوع من الأدب مع ربك تعالى، تستشعر فيه قدرته وجلال ملكه وتصريفه لكونه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة بحاجة إلـــى أعوان، والطريق طويل ومكلف، ويحتاج إلى أصحاب، وخير ما اســـتعان الإنســـان به صحبة الصالحين ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ وإذا تأملت الوصية وجدتهـــا تدعوك للصبر مع تلك الرفقة التي تختارها، وتشدِّد عليك ألَّا تلتفت عنهم للزينة العارضة، ولا تنصرف للشهوات التي تدعوك للتخلي عن منهجك وعقيدتك ورسالتك، وتذكرك بأن صحبة الغافلين الذين آثروا الهوى على العقيدة والمنهج، لا تصلح لرفقة الطريق الطويل. وإياك ألف مرة أن تذهب حياتك في صحبة من كان أمره فرطاً أي: ضائعاً بلا منهج ولا قيمة ولا روح!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستعلاء بالمنهج فرع عن العزَّة به ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ إذا قررت الهداية، فارفع رأســـك

عالياً، وانظر لأفق السماء فأنت عبد لربك، وهذا الذي تسير عليه منهجه ودينه، ورسولك محمد ﷺ أعظم الرسل قدراً، وأعلاهم منزلة، وأقربهم مكانة، والحق الذي معك هو دين الله تعالى الذي ينبغي أن يكون حاكماً في الأرض، وكل ما عداه أهواء باطلة لا قيمة لها في شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المغتر بماله، والمعتز بمكانته، والمتكبر بما أعطاه الله تعالى نموذج للبغي في الأرض والعدوان على القيم والاستكبار على النعم، وعادة الله تعالى في كل أولئك أن يجري عليهم سننه، ويجعلهم درساً وذكرى للتاريخ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾ بَطِرَ النعمة وتكبَّر على صاحبه الفقير، وتألَّى على الله تعالى أنه لا يبيد جنته، حتى أنكر قيام الساعة، فأجرى الله تعالى عليه سننه وآياته ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ وهذه سنة الله تعالى في كل من آتاه الله تعالى شيئاً ثم لوى رقبته متكبِّراً، ولم تردَّه تلك النعم إليه!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للحياة قيمـاً وموازين توزن بها، وتقيَّم من خلالها ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ فكثرة المال والأولاد ليست من قيمها ولا موازينها، فلا ينبغي أن يُحتفل بها في شيء إلا إذا كانت عوناً على مراضي الله تعالى. القيمة الكبرى التي تحتاج إلى رعاية وعناية تلك الباقيات من العمل الصالح ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ وهي الأقوال والأفعال التي يتقرب بها الإنسان من ربه، وتجري في فلك وحيه وشرعه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسـان يكتب تاريخه كما يريد، ويصنع لنفسه ما يشاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ كل دقيقـة مـن حياتك، ولحظة مـن عمرك، ومسـاحة من واقعك، سـتأتي مكتوبة ومدونة ومرصودة، وهي التي ستكتب حظها في ميزانك خفَّةً وثقلاً وفوزاً وخسارة، ومثلك أوعى بألا تأتي متأخراً أو في مساحة خسران.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسـان فـي النهاية نتيجـة لأمانيه وطموحاته ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ قرر موسى عليه السلام ألَّا يبرح الأرض، أو يتوقف في الطريق، أو

يَكِلَّ عن مقصده الكبير حتى يلقى الخضر عليه السلام ويأخذ منه العلم، ويجد الأماني التي يبحث عنها، وكان له ما أراد. وأنا وإياك إن لم تكن عزائمنا كذلك، وإلا فلا مفروح بتلك الأماني التي ترزح في قلوبنا من زمن طويل.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عدم العلم مفضٍ بصاحبه إلى الحرمان ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢﴾ وقد تكرر هذا اللوم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٥﴾ ثلاث مرات، وفي النهاية اعتذر منه، وقصَّ له أسباب ما صنع، وفي البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ﷺ: «**يرحم الله موسى لو كان صبر لقصَّ علينا من أمرهما**». وليس هناك ألذ من العلم، وما أكثر ما يجري في نفوس الناس من استغراب بعض المعاني حتى يأتي العلم، فيبدِّد ذلك الاستغراب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ صلاحك مع ربك تبارك وتعالى أعظم سبب تنال به أمانيك، يصلح به بيتك، ويبارك لك في مالك وولدك، ويجري لك الخيرات في الدارين ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ ومن عرف هذه الحقيقة وأقبل إليها صادقاً جاداً لقي من عاجل بشراه.

لا يكرمون ولا يُضيِّفون، ثم يدخلون ويبنون جداراً، وسبب ذلك أن كنزاً لأيتام تحت هذا الجدار، وفعلوا كل ذلك لأن أباهم كان صالحاً، وهو الجد السابع لهؤلاء الأيتام، وليس والدهم الأصل حتى تعرف قدر صلاح الإنسان في تحقيق أمانيه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إقامة العدل أساس كل شيء ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ وما كان هذا المعنى في أسرة وبيت أو مجتمع ومؤسسة أو دولة وأمة إلا وصارت إلى التوفيق، وما تخلَّف عنها إلَّا صارت إلى الحرمان، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: إنَّ الله ينصر الدولة الفاجرة إذا كانت عادلة، ويخذل الدولة المسلمة إذا كانت ظالمة. وكم ترك الظلم من آثار! وكم بعثر من بيت، وفرَّق من شمل، وكتب الحرمان في مساحات كثيرة! والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الوحدة في الصف والعمل الجماعي من أعظم مواصفات القائد ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ وذو القرنين هنا يصنع هذه الوحدة ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ ويبني من خلالها الصف الكبير، وهذا المعنى كبير وجليل وعظيم، ولا

يصل إليه إلَّا موفَّق، وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وما كل مريد للنجاح بلغه، وكم من بيوت تفرَّقت! ومؤسسات تشتَّتت! ومجتمعات ضاعت لفوات هذه الفضيلة من واقعها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العفة والقناعة من صفات الكبار، وقلَّ أن تجد كبيراً يده ممدودة إلى عطاء من حوله ما لم يكن به ضرورة إلى ذلك ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ عرضوا عليه أن يهبوا له خرجاً، فأبى وذكَّر بأن ربه تعالى أعانه ويسَّر أمره، وسدَّه عن التطلع إلى ذلك، وهو نوع من أدب القادة حين يمكِّنهم الله تعالى من كل شيء، فيعيدون الفضل له، ويرون بأن المنة الكبرى له تعالى ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الطموح والهمم العالية والأماني الضخمة لا تصلح إلا للكبار، لقد طاف ذو القرنين الأرض حتى بلغ مغربها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ وطافها من الجهة المقابلة حتى بلغ

مشـــرقها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ۝٩٠﴾ والقدوة قاعـــدة النهضة في كل واقع ومســـاحة، ومن لم تثق بقدوته، فلا تجري أنفاس مشاعر جديته في قلبك ومشاعرك، وكل أب ومعلم وقائد في مؤسســـة أو مجموعة لا يعلِّم أبناءه وطلابه وأصحابه ومرؤوسيه هذه القدوة الصالحة للحياة، فلا سبيل إلى أمانيه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من الفقه والوعي وكمال العلم الأخذ بالأسباب في كل مشروع يراد له النجاح، والفوضى لا تخلِّف إلَّا الإخفاق والضياع، وقد أخذ ذو القرنين كل الأســـباب الكفيلة بنجاحه، وأكَّد على معانيها الكبار وآثارها أربع مـــرات ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٩﴾ وكان النبي ﷺ إذا خرج للحرب لبس لأمته ودرعه، ويوم خرج في حادث الهجرة للمدينة صنع كل شـــيء غير أن ذلك يجب ألَّا يتعـــدى الأخذ بالأســـباب، وتتعلق القلوب بمالك الملك ومسبِّب الأسباب جلَّ في علاه، فإنه كل شيء.